

مراحل مهمّة في تبلور مفاهيم القيم الاجتماعية
Important stages in the crystallization of social values
concepts

رشيد بن راشد

¹ جامعة وهران2، benrached.rachid@univ-oran2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/04 تاريخ القبول: 2025/02/25 تاريخ النشر: 2025/03/10

ملخص:

في بحوث سابقة، سلّطنا الضوء نحو القيم الاجتماعية في بناء الهوية الحديثة، وفي بحث آخر عن القيم الاجتماعية لجيل الهاتف الذكي، وأشرنا كذلك إلى القيم الاجتماعية والقيم التكنولوجية. أمّا عبر دراستنا الحالية؛ حاولنا إبراز أهمّ المراحل التي ساهمت في تبلور مفاهيم القيم داخل المجتمع.

وخلال دراستنا الحالية إعتدنا منهج القراءة التحليلية للوصول إلى إجابات عن التساؤلات التي طرحناها عبر إشكالية محطّات تبلور مفاهيم القيم الاجتماعية، وتوصّلت الدراسة إلى: لا يمكن تحديد مفهوم معيّن للقيم الاجتماعية إلا عبر سياق مناسب وإطار زمني محدّد. ساهم الباحثين في العلوم الاجتماعية بوضع أطر واضحة لدراسة القيم في المجتمعات الحديثة. أفرز علم الاجتماع مفهوم القيم بمحاولة إبراز أبعادها ومؤشّراتها لدراستها سوسيولوجيا بعدما كانت تعنى بمجال الفلسفة فقط.

كلمات مفتاحية: مراحل مهمّة، تبلور مفاهيم، قيم اجتماعية

Abstract:

In previous research, we have highlighted social values in different perspectives, and through our current study we have tried to highlight the most important milestones that have contributed to the crystallization of values concepts within society.

We adopted the analytical reading curriculum to find answers to the questions we raised through the problem, and the study concluded: A specific concept of social values can only be defined through an appropriate context and a specific time frame. Researchers in social sciences have contributed to the development of clear frameworks for the study of values in modern societies. Sociology gave rise to the concept of values by trying to highlight their dimensions and indicators for their sociological study after dealing only with the field of philosophy. **Keywords:** important stages, conceptual crystallization, social values.

*المؤلف المرسل: رشيد بن راشد

1. مقدمة:

في الفلسفة القديمة كان الاهتمام بمناقشة أسس القيم أكثر من مناقشة طبيعتها مثل "أفلاطون" ورؤيته حول المثل العليا و"كانت" وفلسفته الأخلاقية وكذلك "نيتشه" ونظرته للعدمية الأخلاقية. وبقي مفهوم القيمة من العلوم الاقتصادية في شكلها المطلق ومحاولات متعددة لنظريات تبحث في طبيعتها، إلى غاية فتح مجال جديد حول حركة القيمة في الفلسفة الألمانية الحديثة وعلى رأسهم "هرمان لوتزي" والذي يعتبر الأب المؤسس لدراسة القيمة في محاولات تفسيرها وتحليلها بمساعدة من زميله "ريتشل" نحو هذا التوجه، وبعدها تأثر العديد لهذا الاتجاه مثل "ولبر أيربان" في علم الاجتماع (1909) في طرحه للتقييم من ناحية الطبيعة والقوانين واعتبار هذا بداية التقديم لنظرية عامة حول القيمة، ويأتي "بارتون بيرري" في محاولة تطوير نظرية القيمة (1926) ومؤلفه كتاب أفاق القيمة (Vieyt, 2022, p. 1954) (129). ومن هذا المنطلق الذي هو في الأساس أصل دراستنا التي تقوم حول القيم في طابعها السوسيولوجي "القيم الاجتماعية" لزم علينا محاولة إزالة الغموض حول

مراحل مهمة في تبلور مفاهيم القيم الاجتماعية

المفهوم بسرد التفاصيل بداية من فلسفة القيمة إلى رؤى واتجاهات علماء الاجتماع في العصر الحالي.

وعلى الرغم من أن الفلاسفة في العصور القديمة حاولوا إيجاد مفهوم عام للقيمة دون التصريح بذلك من خلال مناقشتهم للأخلاق والفضائل وغيرها من المثل العليا وبقاء الدراسة العلمية للقيمة تخص المجال الاقتصادي فقط، إلا أنه ومع ظهور الفلسفة الحديثة في القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام أكثر بالبحث في ارتقاء القيم وتغيرها وأثرها على انساق المجتمع والابتعاد عن فكرة دراسة القيم كونها مرتبطة بالبحوث الفلسفية وعدم إمكانية تفسيرها من المنظور العلمي المطلق، ومن بينهم "ليفي شتراوس" الذي استبعد ذلك لاعتقاده أن القيم عبارة عن ظواهر لانفعالات وعواطف غير منطقية تحدث للفرد في المجتمع (Filho, 2022, p. 93).

لكن عندما يتعدّد تحديد المعنى الأصح لمفهوم القيم بسبب تباين وجهات النظر لدى مختلف المجالات، على رأسها الدين. وكذلك العلوم الأخرى كعلم النفس والاجتماع، أو الاقتصاد وغيرها؛ يتبادر لإذهاننا على إثر ذلك طرح التساؤل الذي يعكس أهمية الإلمام بمراحل تبلور مفاهيم القيم الاجتماعية من المنظور السوسيولوجي عن باقي المجالات الأخرى؟ ويمكن كذلك الكشف عن تساؤلات أخرى، وهي عن إمكانية حصر مفاهيم القيم الاجتماعية في إطار سوسيولوجي محض؟ وهل تسليط الضوء أكثر نحو مفاهيم القيم الاجتماعية يسمح بتعزيز فكرة أنّ هذه الأخيرة عندما تكون مرتبطة بالمجتمع؛ يسهل إيجاد لها فهماً واضحاً تعرف من خلاله؟

إعتمدنا منهج القراءة التحليلية خلال دراستنا الحالية في تسليط الضوء أكثر نحو مفاهيم القيم بصورة عامة وشاملة، بمعنى دراسة الظاهرة من الكل إلى الجزء لإعادة تركيب الأجزاء إلى صورتها السابقة لغرض إسقاطها وفق السياق البحثي الذي رخطّطناه وهو القراءة النقدية في أجزاء الظاهرة قبل إعادة تركيبها. وعلى إثر ذلك

قمنا بالإشارة إلى أبعاد القيم في المجتمعات ووجهات نظر الباحثين، ثمّ البحث في ثنائياها لإعادة تركيب وصياغة المفاهيم حسبما توصّلنا إليه، وهو وضع الصورة النهائية لمفاهيم القيم كما وردت في دراستنا الحالية.

إنّ لكلّ دراسة أهميّة وهدف، وإنّنا خلال دراستنا الحالية إستهدفنا أعقد المفاهيم التي إستحال التوافق عندها بين الباحثين والمهتمّين لارتباط مصطلح القيم الاجتماعية بمفهوم الأخلاق البشرية الفضيلة، اولتي طالما حاول الفلاسفة دراستها والخوض فيها وحصرها. فكان الاختلاف دائماً حول كيفية إيجاد لها معايير تتفق عندها كافة فئات الشعوب. ومن هنا كانت الصّعوبات والعقبات في دراسة هذه القيم داخل إطار المجتمع. وإنّ أهميّة دراستنا الحالية؛ تنطلق في الأساس للكشف عن مدلولات القيمة الاجتماعية في أبعادها ومؤشّراتها التي تعكس المعايير الأخلاقية في تعايش الأفراد والفئات عبر المجتمعات. وتكمن أهميّة البحث الحالي كذلك؛ في الوقوف عند أهمّ المحطّات التي نضجت خلالها المفاهيم حول معنى القيم الاجتماعية. ويمكن الإشارة كذلك على أنّنا رصدنا في سياق بحثنا، بعض المفاهيم والمصطلحات التي قد تتداخل مع مفاهيم أخرى. وعليه وحتى يتسنى للقارئ الفهم بشكل أوضح؛ نسلط الضوء على إثره أهمّ المفاهيم والمصطلحات البحثية، كالآتي:

• مراحل مهمّة:

ينطوي المفهوم على عبارتين، الأولى مراحل: وفي اللّغة هي جمع "مرحلة" بفتح الميم وضم الراء وفتح الحاء واللام والتّاء المربوطة في الأخير. بمعنى مدى من الزمن. ونقول على مراحل أي تدريجياً. أمّا عبارة مهمّة في اللّغة العربية؛ فجمعها مهمّات بشدّ الميم، ومهام بفتح الهاء. ومهمّة في اللّغة العربية هي صفة المؤنّت الفاعل "أهمّ". فهي تعني توكيل، أو بمعنى وظيفة موكلة لشخص ما لغرض القيام بعمل معيّن. واصطلاح عبارة "مراحل مهمّة" أتى مرادفاً لمعنى محطّات زمنية متميّزة وبارزة تعكس مدى أهميّة الوقوف عند تلك الفترات الزمنية (عمر، 2008، صفحة 119).

مراحل مهمة في تبلور مفاهيم القيم الاجتماعية

أما إجرائياً؛ فعبرة "مراحل مهمة" أتت في دراستنا الحالية كتسليط الضوء أكثر على بعض الحقب الزمنية التي إرتبطت ومحاولات المفكرين والباحثين في إزالة الغموض وإيجاد مرادفات لمعاني القيم بين أفراد وفئات المجتمع، ودراستها كمكوّن يمكن البحث فيه وعنه، ومناقشة ذلك سوسيولوجياً.

• تبلور مفاهيم:

معنى تبلور في اللّغة؛ في معجم المعاني "تبلور بضم الراء في الأخير يعود لمصدره تبلور، ولفعل يتبلور بسكون الراء في الأخير، ويقال تبلوراً، ومتبلور. ويقال كذلك تبلور الحجر أي صار مثل شكل البلور. وتبلور بمعنى إتضح شكله وتحدّدت معالمه، وأصبح واضحاً. أمّا عن المعنى اللّغوي لمفاهيم؛ فإنّه يعود في الأصل لجمع إسم مفهوم. ويقال تفهّم، يتفهّم، تفهّماً، فهو متفهّم بكسر الهاء، ومفعوله متفهّم بفتح الحاح المشدّدة. ونقول في اللّغة تفهّم بمعنى استوعب الأمر وبدأ يتقبّله. والمفهوم هو إسم المفعول لفهم بكسر الهاء في الأخير (عمر، 2008، صفحة 267). فالمفهوم هو عموم الفكرة وشمولها عند الإستيعاب.

واصطلاحاً، فإنّ عبارة تبلور مفاهيم؛ أتى بصفة خاصّة ليشير إلى مدى أهميّة إبراز صورة واضحة لمعنى ومفهوم القيمة من سياقها المطلق والعام على مستويات البحوث والدّراسات، إلى تسليط الضوء أكثر نحو القيمة منعكسة في المجتمع. وإجرائياً أتت عبارة تبلور مفاهيم، موضّحة كيفية تشكّل مفاهيم عن مدلول القيمة قياساً بالمجتمع بعدما كانت مرتبطة فقط بشيء مادي كمجال الاقتصاد.

• قيم إجتماعية:

في اللّغة العربية، نقول قيم بفتح الياء كجمع يعود لمفرده قيمة. وهي رمز أو دلالة لثمن شيء ما. تمثل الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية وهي جمع قيمة،

ويقال قَيِّمٌ، يُقَيِّمُ، تَقْيِماً، والقَيِّمُ هو الأمر الذي له قيمة، وفي حال لسان العرب القَيِّمُ معناه المستقيم، والقيم مصدر يصف الاستقامة. وعبارة اجتماعية في اللغة؛ هي اسم مؤنث يعود إلى مصدره اجتماع. ونقول إجتمع، يجتمع إجتمعاً. وقيم اجتماعية لم تكن معروفة هذه العبارة سابقاً في معاجم اللغة كونها مستحدثة. وحاول العديد من اللغويين إيجاد لها معنى يناسب متطلبات اللغة في عصرنا الحالي، فكانت أقرب ترجمة لها المحسوسات التي لها وزن وقيمة في المجتمع (رشيد، 2022، صفحة 773).

يصطلح كثيراً على مفهوم القيم الاجتماعية في الدراسات السوسيولوجية الحديثة، والتي كانت في السابق فلسفية فقط. وكان الفلاسفة هم المهتمين أكثر بدراسة الأخلاق في المجتمعات، والتي أصطلح عليها لاحقاً بالقيم الاجتماعية. أما إجرائياً فقد أتى مصطلح قيم اجتماعية خلال دراستنا الحالية؛ كمحاولة لإيجاد مقاربة ما بين دراسة الأخلاقيات المجتمعية في السابق إلى غاية ترسيخ مفهوم القيمة لدى المهتمين بالشؤون الاجتماعية (رشيد، 2022، صفحة 74).

2. المناقشة:

طالما كانت الفلسفة اليونانية القديمة لها رؤية حول القيم ولم تكن صريحة وواضحة إلا بعد تحليل أبعادها التي تمثل مصدر كل قيمة إنسانية، ويؤكد "سقراط" على أن أساس الخير هو المعرفة، مع رفضه لتعدد صور القيم في محاولة منه لوصل القيمة بالمنفعة واعتبارها سمة متكاملة لمعايير إنسانية، ولقد دافع "أفلاطون" عن موضوعية القيم وعن عدم خضوعها للمعايير المتغيرة مثل الخبرات الفردية والتوجهات الذاتية، والقيم عنده تتميز بالثبات ويكتسبها الفرد عندما يتخلص من المادية بتأملاته في عالم المثل العليا، ومن هذه الزاوية يرى "أفلاطون" بمطلق القيم في حد ذاتها ونسبية بحسب الطبيعة الإنسانية، وكان "أرسطو" رؤيته الخاصة حول السعادة كقيمة اجتماعية، وتنطلق الفكرة عنده في كونها ليست ثابتة

مراحل مهمة في تبلور مفاهيم القيم الاجتماعية

تتمحور نحو العرف الاجتماعي والإنسان يمتلك القابلية لتبني هذه القيم وتتشكل لديه إزاء طرق الممارسة في حياته الاجتماعية طيلة فترة من الزمن وبين "أرسطو" أهمية الفضائل وأنها مكتسبة لدى الإنسان في مجتمعه على خلاف الرؤية التي تقول بولادتها معه وتتغير من فرد إلى آخر ويكون العقل هو الحاسم في ذلك وأن الفضيلة ليست مبتغى بل هي سلوك يمثل وسيلة لتحقيق السعادة التي يعتبرها فضيلة توازي قيمة تتجسد في الأخلاق والمعرفة (Sally, 2023, p. 77).

ومن المسلّمات التي توصل إليها "كانت" أن العقل الإنساني هو المشرف على بناء كل نظام للقيمة عكس من كانوا يرون أن المنفعة هي المؤسسة للقيم إنسانية، ولم يكن "كانت" مناصراً لمن يزعمون العقل ولا من الذين يدعون إلى التجريبية المحضة، وله رؤية بأن القاعدة التي تشمل القيمة لا تعترف بمبدأ الظروف المحيطة وكذلك الحاجات النفعية في بناء القانون الأخلاقي وتصبح مطلقة عند الإنسان وليست بديلة عن قيم المنفعة مانحة العقل مبدأ الأولوية دون التأثير بالظروف الخارجية والداخلية في كل الحالات، في حين يشكل الفعل الإرادي للإنسان ناتجا من الإدراك الواعي بالأخلاق وضرورة الحفاظ على القيم لزاما في المجتمع (رشيد ب.، 2023، صفحة 512).

أما عند "نيتشه" ففكرته تقوم على أن القيم من أعقد ما يكون لعدم إمكانية تغييرها ولقوة وعمق جذورها، وهي من العوامل الكثيرة التي تؤثر على فاعلية الإنسان وتبقى لفترات زمنية طويلة حتى تصبح راسخة ويصعب اجتثاثها بعد ذلك من المجتمع، ولهذا دعا لإعادة تقييم القيم وصياغتها من جديد لأنها متعلقة بكيان الإنسان وماضيه البعيد، واكتساب قيم تتسم بالشمول بعيدة عن سلوكيات سابقة، وينفي كل قيم منبثقة عن سيادة دينية أو أخلاقية بزعمه أنها مقيد للحرية، فعنده القيم مصدرها قوة الإرادة الإنسانية، ورغم الجدل الكبير الذي أحدثه

"نيتشه" إلا أن أفكاره كانت بداية الانطلاق لمزيد من التحليلات والتفسيرات لمنظومة القيم من الناحية الاجتماعية (Sally، 2023، صفحة 79).

تعود البدايات الأولى سنة 1987 لظهور مصطلح « Axiologie » بمعنى الدراسة الفلسفية للقيمة، وكان لفلسفة "هرمان لوتزي" الدور البارز في تلك الفترة عندما قدم طرحا حول العلاقة بين قانون الطبيعة، والميتافيزيقيا، ومعيار القيمة، على أنها ثلاث منفصلة في الفكر الإنساني وعلى العكس فهي منسجمة في عالم الطبيعة كونه الحيز الذي تتحقق فيه معايير القيمة وتوصل إلى وجهة نظر قائلة بالمثالية الغائية وفق مبدأ الميكانيكية عن بعد، ومن هنا كانت بداية الاهتمام بدراسة القيمة وتم استخدام مصطلح الإكسيولوجيا لأول مرة على يد "بول لابي" في كتابه "منطق الإرادة" سنة 1902، و"فون هارتمان" بعد نشر كتابه "أسس الإكسيولوجيا" سنة (Filho، 2022، p. 94).

وتقدم "دوركايم" بطرح أفكاره في أحد محاضراته بجامعة « Sorbonne » سنة 1913 نحو قيمة الأشياء كونها واحدة من صور الضبط الاجتماعي المنفصلة عن الذات الفردية تكون خارجة عن نطاق التجسد، ولخص فكرته حول إمكانية قياس قيمة الشيء وفقا لمنفعتهم لدى الفرد في المجتمع منافيا القول بأن الحقيقة الاجتماعية هي أشياء مادية محضة، وإنما تضاهي المادة في أهميتها بمبدأ نظام القيم الإنسانية ضمن المجتمع، ولقد أتى "ماكس شيلر" بنقيض صورية القيم عند "كانت" وإنكاره دور العاطفة في المعرفة، وطرح فكرته حول مادية القيم والأخلاق وأنها موضوعات غير مدركة سواء عن طريق العقل أو التجربة وتكون بواسطة الحدث الانفعالي عند الإنسان، وحاول "شيلر" البحث عن القيم الأصيلة الثابتة غير المتغيرة وتصنيفها من الأدنى إلى الأعلى وفق خمس قيم: الحسية، النظرية، الحيوية، الروحية، الدينية، فإن القيم الثقافية لها صفة الروحية بعيدا عن المادة التي تحتوي

هذه القيمة، ويبقى المقدس أرفع درجة في تمثيل القيم لدى المجتمع (Filho, 2022, p. 95).

وعلى خلاف ذلك كان "ألبر إيربان" من الفلاسفة المعاصرين الذين ساهموا في نظرية القيمة واعتقاده أن التغير الذي طرأ على القيم الفعلية للفرد في مجتمعه دعا إلى تحول جذري سبب الانتقال من البحث في مشكلة المعرفة إلى مشكلة تبحث في القيمة، وتأتي إسهامات "وليام توماس" و"فلوريان زنانيني" ما بين في نشر مؤلفهما "الفلاح البولوني" على نحو خمسة أجزاء ما بين فترة 1918 و1920 حول سوء التنظيم الاجتماعي، وفي جزئية تلمس القيم في المجتمع كان "توماس" يرى بأنه كل مقصد يندرج داخل محتوى يكون مقبولا من طرف جماعة في مجتمع معين، تصبح القيمة لها دلائل تستقر على مسألة أو نشاط خاص، بينما أفرد "زنانيني" بين طبيعة الأشياء التي تكون أنساق بيولوجية وأسماها أشياء وبين القيم وأطلق عليها الأشياء الثقافية مما يسمح له بتفسير نظام القيم ويرجع ذلك إلى ما يتعلق بالأفعال الإنسانية، وخلص "توماس" في الأخير بأن القيم هي الأنساق الثقافية في مقابل تكون المبادئ المنفردة للأشخاص في حياتهم الاجتماعية، وعند المدرسة الواقعية الجديدة "البراغماتية" وعلى رأسهم "بارتون بيرري" توسع الاهتمام أكثر نحوى دراسة القيم في محاولة لتطوير نظرية عامة للقيمة والتي انعكست في كتاباته حول نظريته الواقعية للمعرفة والفكرة القائلة أن الاهتمام هو الذي يحدد كل قيمة لتحقيق أقصى تكامل شمولي لغرض الوصول إلى سعادة توافقية في المجتمع (Turkkaman, 2024, p. 635).

تزايد فيما بعد الاهتمام من طرف رواد علم الاجتماع بدراسة القيمة والبحث حول البناءات والأنظمة لأنساق المجتمع ووظيفة السلوكيات الجماعية التي ترتبط مع نظم لفئات اجتماعية أخرى، لهذا دعا "بارسونز" من أجل الحفاظ على البناء لنسق المجتمع وأن مصالح الأفراد أو الخضوع للقوانين الاجتماعية ليست كافية

لضبط السلوكيات الجماعية وكشف عن أهمية المعايير والقيم لسلوكيات فردية تنسجم مع الفاعلية الجماعية المجتمعية في وجود وعي وتفهم لمعايير المجتمع وقيمه السائدة وهنا يبرز الجانب السوسيولوجي والثقافي لرؤيته حول نظم البناء المجتمعي (Turkkaman, 2024, p. 636).

وجاء "كلوكهون" بتعريف من وجهة نظره عن القيم الاجتماعية بأنها تفضيل لما يكون مرغوباً عند الفرد وحرية اختياره ما بين المتغير لأسلوب السلوك والقيام بالفعل الخاص بالرسالة والهدف في المجتمع، بمعنى تميّز فرد أو جماعة لما يُحدّد وفق التصور الضمني للأفعال، والقيمة المجتمعية تدعم الفرد والجماعة داخل المجتمع لأحداث الانسجام في المواقف المتعددة للوصول إلى بناء للمجتمع، وتعرّف "فوزية دياب" القيم من خلال مؤلفها "القيم والعادات الاجتماعية" سنة 1966، بأنها تصدر حكماً على السلوك الاجتماعي تحت مظلة الأسس المبدئية لكافة المعايير التي توضع وفق ما يحدد المرغوب وغير المرغوب لأفراد المجتمع، وفي علم النفس الاجتماعي عند "ميلتون روكيتش" في كتابه "مقاييس القيم" سنة 1973 يرى أن الحياة تنعكس من خلال المستوى والرفاهة والتحضر واعتبارها قيم لمؤشرات تعكس صورة الفرد داخل الجماعة، وأن نسق القيم هي مجموع توجهات منتظمة ومتناسكة كونها تشكل بناء المجتمع (Turkkaman, 2024, p. 637).

ويقدم لنا "أحمد بدري" تعريف سنة 1977 أن القيم يتم اكتسابها في ظروف اجتماعية في حدود مجال تفكير الفرد وسلوكه، ويرى كذلك بأنها الصفات التي يفضلها الأفراد ضمن ثقافة محددة تتسم بالعموم والقبول لدى المجتمع، ويرى ضياء زاهر سنة 1995 أن القيم تنبثق من الفرد عندما يحمل أحكاماً حول معايير متصلة بواقع يوافق انفعاله لمواقف وخبرات متعددة شرط أن تحظى بقبول الجماعات في المجتمع، ومن وجهة نظر شوارتز و بليسكي سنة 2000 يرى أن القيم يكون ترتيبها حسب الأهمية ويعرفها على أنها معاني توضح الغاية تتعلق بالسلوك

مراحل مهمة في تبلور مفاهيم القيم الاجتماعية

وتطفوا فوق المواقف العرضية لدى الأفراد في المجتمع، ولدينا تعريف "امطانيوس ميخائيل" سنة 2002 يرى بأنها تكمن في اختلاف النشاطات الممارسة وتكون متحركة في سلوكيات الفرد لتقيده بهذه القيم، وموجهة لكافة التفاعلية التي تحدث اتصالا في المجتمع، أما القيم عند "ماجد الزيود" سنة 2002 يراها في جموع المبادئ والمعتقدات المتأصلة داخل الفرد عاملة على ضبط تفاعله بتنسيق علاقته المجتمعية لكافة مناحي الحياة، وعلى أنها الأحكام التي تحدد المعايير عند الفرد في تفاعله مع الأنشطة والخبرات المنفردة والجماعية بحثا عن التمكن من الوصول إلى أهداف وغايات مجتمعية تكون لها الجدارة بتوظيف الإمكانيات متجسدة في اهتمامات وتوجهات السلوك بصفة قاصدة أو غير قاصدة في المجتمع (رشيد ب..، 2021، صفحة 37).

وتأتي لنا "إيمان عبد الله" سنة 2007 بتعريف عن القيم بأنها اتفاق لمجموعة من الأفراد على مقاييس حسية يتخذونها ميزانا لمعايير في تفاعلاتهم ليحكموا سلوكياتهم الظاهرية والباطنية لقياس مستوى التفضيل ما بين المرغوب وغير المرغوب في المجتمع، ولدى (فريدريك لوردون) سنة 2011 رؤيته الخاصة حول تشكل القيم الجمالية في ظل العلاقات الاجتماعية داخل المؤسسات الاقتصادية بإعادة توجيه الرغبات المشتركة في إطار وجود العقل لأنه في النهاية يأتي لتلبية المشاعر الإنسانية واعتباره أن المال ليس فقط أداة للتبادل وإنما هو علاقة اجتماعية بحد ذاتها أي بمعنى شكل من أشكال القيمة التي تعكسها الظروف الاجتماعية، ولا يوجد مضمون جوهري للقيمة إلا استثمار عفوي للرغبة ينعكس في القيم الجمالية والأخلاقية والاقتصادية داخل المجتمع، وفي محاضرة ألقاها "جون ستاسين" في مؤتمر « TED » سنة 2017 بأنه يجب التفكير في القيم بطريقة مختلفة اعتبارا أنها الصمغ الذي يربط بين الأفراد والجماعات وفرصة إقامة اتصالات على غرار الخلافات الحميدة، ويقول أن القيم نستقيها من العبر والقصص وليس من

خلال المفاهيم المجردة التي تتوفر لدينا داعيا إلى مشاركة الأفراد بنشر خبراتهم الحياتية لاستكشاف القيم الشخصية والجماعية والربط بينها والتركيز على ما هو واقعي في المجتمع (رشيد ب.، 2021، صفحة 39).

وعليه يمكن القول أنّ القيم تتشكّل من حلقات مترابطة لعديد من السمات والمبادئ والغايات لإثبات الوجود الإنساني تفضي إلى تحقيق قيم ضمن بيئة تعكس نظام متكامل ذو طبيعة بشرية تفاعلية لعلاقات تتم وفق سلوكيات لها معايير إجتماعية، ويبرز دورها في الوظائف التي تضبطها تلك المعايير، والتي تعرف بالقيم الاجتماعية كما ينظر إليها المختصون في هذا المجال، وهي المعايير المطلوبة التي تنتقي بدائل وإمكانات تقاس بواسطتها فاعلية الأدوار لتحقيق غاية ما في المجتمع، وتبني هذه المبادئ يكون بسابق معرفة حول مجموع الأهداف المندرجة تحت أي ظروف لضبط التوازن في المجتمع (رشيد ب.، 2022، صفحة 56).

وتجدر الإشارة إلى أن أهمية القيم تكمن في تكوين الفرد وبناء المجتمع من خلال معايير الحكم على المواقف والسلوكيات بالقبول أو الرفض، لها وظائف عدّة أهمها المساهمة في تشكيل ثقافة أي مجتمع بقيامها دور المرتكز الأساسي للتفاعل الواعي والمدرّك لدى الأفراد في رؤيتهم الحياتية داخل المجتمع، ولها خاصيّة أنها نسبية وغير مطلقة، متغيرة وغير ثابتة، قابلة للتعديل في أي مكان وزمان.

فقبل أن نستعرض كيفية تشكل القيم، كان لنا التعرف على مكوناتها وبداية نذكر المكوّن المعرفي، وهو مجموع خبرات تراكمية لفترات طويلة، قبل حدوث الممارسة الاجتماعية للقيمة ولا يكون إلا بعد ترسخها لدى الفرد أو الجماعة، تتمثل في خلفيات معرفية سابقة يكتسبها خلال حياته الاجتماعية، فالمعلومة (القيمة) عندما يتلقاها دماغ الإنسان يحتاج إلى التعرف عليها ومقارنتها بالمعلومات السابقة حتى يستطيع تصنيفها وإضافتها للمعلومات السابقة المشابهة لها، يحدث هذا في عملية معقدة وذلك بضبط المؤشرات الدالة عليها وربطها ببعض في مقارنة تسهل من

مراحل مهمة في تبلور مفاهيم القيم الاجتماعية

عملية التعرف عليها، وأما إذا كانت معلومة لم يسبق التعرف عليها من طرف الدماغ وهنا تبدأ عملية التقصي حولها في محاولة إيجاد مبرر لها لتتم عملية تخزينها في الدماغ في انتظار وصول وتراكم معلومات مشابهة تعززها حتى تصبح معلومة (قيمة) مصنفة واستخدامها أثناء الحاجة إليها، وهذا كله يحتاج إلى وقت من الزمن، بمعنى يجب أن يكون لهذا المكوّن المعرفي بدائل للمقارنة بينها فتكون معلومات عن قيمة معينة تتداخل مع معلومات عن قيم أخرى، يصبح الاستيعاب لها وفق ما تقتضيه الموازنة بين البدائل لجوانب متعددة منها المنفعة أو الضرر أو غير ذلك، وبعدها تصبح القيمة أكثر وضوحاً لتكون راسخةً عند الأفراد والجماعة في المجتمع (رشيد ب.، 2023، صفحة 517).

أما المكوّن الثاني للقيمة هو الجانب الوجداني بمعنى الشعور الذي ينتاب المتلقي لقيمة معينة، مثل الرغبة أو النفور، وهذه الحسيّات هي التي تساعد على قبول القيمة وتبنيها، أو عدم الرضا عنها ورفضها، وكمثال على ذلك، نجد شخصا قد يعاملك بكرم شديد في بيته مع حسن اللباقة والسلوك، فعندما تصدر عنه قيمة معينة، تتلقاها بنوع من الاستحسان والقبول لشعورك بالاطمئنان تجاه هذا الشخص، والعكس عندما يكون شخصا ترفضه بشدة وتبادره بعدم الرضا عنه لأسباب عديدة، وهذا الأخير عندما تصدر عنه قيمة حتى ولو كانت جيدة في تراكمك المعرفي، وبعد تكرارها أمامك من طرفه، يصبح لديك رغبة في الابتعاد عن هذه القيمة رغم أنها جيدة، لأنها صادرة من شخص ترفضه في داخلك، فمسألة الشعور الوجداني مهم في تبني القيمة أو التخلي عنها كممارسة اجتماعية (رشيد ب.، 2022، صفحة 779).

وهناك مكوّن ثالث للقيمة يكمن في الجانب السلوكي للأفراد أو الجماعات التي تنعكس عن القيمة من خلال ممارستها، ويكون هذا السلوك مناسباً للظروف وفي بيئة اجتماعية مناسبة، فمثلاً لا نستطيع أن نطلب من شخص القيام بالتبرع

للفقراء وهو في غربة عن بلده ولا يملك إلا ما يكفيه من مال، أما بالنسبة لممارسة السلوك فيجب أيضاً أن يكون في حالات متكررة، حتى يكون اعتياداً عفويّاً يعكس ترسخ القيمة لدى صاحبها في المجتمع ومثالاً على ذلك أن يعطي أحدهم لطفله الصغير بعضاً من المال ويخبره بأن يقدمه لذلك الشخص الفقير، ورغماً من أنّ الطفل لا يستوعب هذه القيمة إلا أن تكرار هذا السلوك ينمي في داخله قيمة يتعرف عليها تلقائياً بعد فترة من الزمن، وحديثنا عن المكونات الثلاثة سالفاً يجعلنا التنويه على أنه لا يمكن الفصل بينهم أو تأخير واحدة عن الأخرى، نحتاجها متوافقة معاً لتعزيز القيمة المراد ممارستها داخل المجتمع (رشيد ب.، 2022، صفحة 780).

قام الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع والنفوس وغيرهم بمحاولات كثيرة لرصد مصادر القيم الحقيقية في المجتمع، ناهيك عن تداخل المفاهيم ما بين العوامل المساهمة في نقل ونشر القيمة، وما بين المصادر التي تنبثق منها، ومثال على ذلك هناك من صنّف المصادر إلى خارجي وداخلي، فالأول يتمثل في الدين لأنه أتى من مصدر خارج المجتمع، والثاني يأتي من داخل المجتمع مثل الأسرة والمدرسة، وعليه كان لنا رؤية بحثية في هذا الجانب لمزيد من الإيضاح والتركيز على الإطار العام لمصادر القيمة في المجتمع (Turkkaman, 2024, p. 637).

ونعني بمصادر القيم؛ أي الجهة المسئولة عن تحديد تواجدها وحجمها ووزنها في المجتمع، وهي لا تأتي من فراغ بل يكون مصدراً معروفاً، وأول مصدر هو الدين، وهنا لا نتكلم عن الدين الإسلامي فقط وإنما نقصد كل قيمة مصدرها نابع من خلفية دينية، وثاني مصدر هو الحاجات، سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غير ذلك، فالحاجة تكون مصدراً لقيم معينة نتيجة ظروف خاصة وطارئة، ونذكر على السبيل المثال الإعلام بشتى أنواعه في حين أصبح جزءاً من حياة الناس وبالتالي وسيلة تصدر القيم في المجتمع، ومن المصادر كذلك، التفاعل الشخصي بمعنى أن الشخص بحد ذاته يكون مصدراً للقيم نتيجة تفاعلاته

مراحل مهمة في تبلور مفاهيم القيم الاجتماعية

الاجتماعية التي تنتج قيماً إنسانية جديدة، و في بعض الحالات يكون المفكرون ورواد الإصلاح مصدراً لإنتاج قيم معينة، مثل الشيوعية التي لم تكن معروفة قبل عقود من الزمن ونتيجة أفكار تبلورت وانتشرت حتى أصبحت قيمة يتبنّاها الشعوب والمجتمعات (Vieyt, 2022, p. 135).

وفي المجتمع يوجد العديد من المؤشرات التي يُستدلّ خلالها على وجود قيم لدى بعض الأشخاص أو جماعات، ونذكر من بينها مستوى التعبير بالكلام وما يصدر من أقوال في فترات زمنية مختلفة أثناء التفاعلات الاجتماعية، لأن الكلمات التي تخرج تعكس ما بداخل صاحبها من قيم داخل المجتمع، وهناك مؤشر آخر يشتمل القراءة والإطلاع الذي يدل على اهتمامات صاحبها سواء كانت ثقافية أو سياسية أو غيرها من المواد المقروءة، أمّا بالنسبة للمواد المرئية بمعنى الإعلام السمعي البصري في طابعه العام وكلّ ما يبث من أفلام ومسلسلات ومقاطع فيديو، فإن التوجّه والميل إلى نوع معين مما يتم عرضه يكون مؤشراً يدل على القيم التي يحملها هذا المشاهد، وما يلاحظ الآن هو تزايد الفاعلية عند الأفراد أو الجماعة في المواقع والصفحات الاجتماعية داخل البيئة الافتراضية التي أصبحت جزءاً من الحياتية وما ينعكس عن أصحابها كمؤشرات تدل على قيم داخل المجتمع، أما من الجانب الوجداني نجد من المؤشرات اهتمامات الفرد والجماعة بداية من الرفقة والصُّحبة التي يتخذونها الأفراد أو الجماعات في حياتهم الاجتماعية، ويأتي أيضاً الدّوق في ارتداء الملابس والاهتمام بالموضة كمؤشر لوجود قيمة تنعكس عن صاحبها، وحتى نوع الطعام الذي تفضله الأفراد أو الجماعات يدل على وجود قيمة معينة تنبثق من خلفية ثقافية لعادات وتقاليد اجتماعية، وكل هذه المؤشرات والسلوكيات مجتمعة نستطيع القول بأنّها تدل على وجود قيم حقيقية لصاحبها في المجتمع (رشيد ب.، 2023، صفحة 521).

تتشكل القيمة لوجود الحاجة إلى توافر المصادر الموثوق فيها، ومثالا على ذلك العلماء في السابق عندما كانوا محل ثقة للمعلومة ولا يجوز الإساءة لهم لأي سبب حتى لو كان هناك اختلاف، تجنّبا أن تعمّم على كافة العلماء فتتلاشى بعدها المصادقية لديهم. باعتبار أن كل ما يصدر عنهم من سلوكيات وأفعال يكون له قيمة في المجتمع. وكمثال آخر أنه تمّ إنشاء مؤسسة بحثية علمية حقيقية، كل ما تتوصل إليه تنقله بموضوعية وشفافية، ومع مرور الوقت تصبح مصدرا موثوقا للمعلومة وفي حال صدور عنها أيّ قيمة، يكون لها القبول لدى الأفراد في ذلك المجتمع، والمعلومة كذلك تحتاج إلى تعزيز من خلال تنوّع المعلومة وتعدد مصادرها فيكون الاستشهاد لها من عدّة مجالات مثلما يقال أن هذه المعلومة في القرآن توصّل الطّب إليها، ومما يعززها كذلك التوالي وتداولها على فترات مستمرة، وتكون أيضاً متواترة فتتشكل بسرعة (Sally, 2023, p. 78).

وتشكّل القيمة كذلك، يأتي من تنوع طرق إيصال المعلومة وتختلف من فرد لآخر، فهناك من تستطيع أن توصل له المعلومة لتصبح عنده قيمة عن طريق المحاضرة مثلا، وآخر عن طريق مشاهدة فيديو، بمعنى يكون اختلاف طرحها على حسب اختلاف كيف يتمّ اكتسابها لدى الأفراد في المجتمع، وكذلك أهمية عنصر التوقيت عند عرض القيمة فلا يكون المتلقي منشغلا مثلاً بقضاء حاجته البيولوجية مثلاً أو الجوع أو العطش، ومن العوامل أيضا التطبيق والممارسة، فكلما كانت القيمة تمارس من طرف الأفراد كثيرا يكون تشكّلها كبير، مثل تبني شخصا سلوك حسن الإصغاء للغير كمظهر من الاحترام وتطبيق ذلك في المجتمع تكرارا يصبح قيمة شخصية وقد يكون تشكّلها في المجتمع بطيء في المجتمع، أما بالنسبة لممارسة القيمة جماعيا ولضمان ذلك وجب توفير لها نشاطات وفعاليات تساعد ممارستها وتشكّلها في المجتمع بشكل سريع (رشيد ب.، 2022، صفحة 776).

مراحل مهمة في تبلور مفاهيم القيم الاجتماعية

والقدوة الحسنة كذلك من العوامل المساهمة في تشكّل القيمة، فمثلاً عندنا لاعب مشهور في كرة القدم لديه شعبية ويمتاز بمحبّة هائلة لدى الناس، وبممارسته لأيّ قيمة اجتماعية؛ يصبح انتشارها واسعاً وله قابلية كبيرة بين الأفراد داخل المجتمع، ونذكر عامل آخر لتشكل القيمة وهو النماذج التاريخية، وبطبيعة الحال فإن له الأثر الكبير في تبني القيمة عند الأفراد، والبعد التاريخي يأخذ وزنه من الأشخاص العظماء الذين عُرفوا بحملهم لقيم تميّزهم على مرّ التاريخ، ولهذا نرى في بعض المسلسلات والأفلام ومشاهد الدراما أصبحت بعض الجهات تعتمد في إعادة صياغة بناء الصورة الذهنية التي يعرفها عامة النّاس، خلاف ما كان مرسّخ لديهم إزاء بعض النماذج التاريخية؛ والغرض من ذلك إثبات قيم ومحو أخرى بإعادة صياغتها وبلورتها عن طريق ممثلين لهذه النماذج التاريخية وطرحها بطريقة تناسب ما يريدون هم نشره في تلك المجتمعات (رشيد ب.، 2023، صفحة 522).

3. خاتمة

وفي ختام البحث، نقول أنّ القيمة يكون انتشارها واسعاً في حالة ارتباطها بمفهوم الثواب والعقاب، والقصد هنا ليس الجزاء والعقوبات الصادرة من هيئات رسمية؛ بل المجتمع هو الذي يثيب على قيمة ويعاقب على أخرى، يكمن في التفاضل الاجتماعي وهو رفع من قيمة شخص وإعلاء شأنه بتقديم رأيه والاستماع له في المجالس، إذن من النّاحية الاجتماعية صارت له الأفضلية، يشجع الأفراد الآخرين الالتزام بهذه القيم، وحالة التفاضل هذه تزيد من انتشارها وممارستها داخل المجتمع، وأحياناً يكون المكسب المادي كأن يكون شخصاً أميناً في تجارته مع النّاس، تجعله محل ثقة عندهم ويكون الإقدام على التعامل معه بشكل كبير، وعليه فإن اكتساب قيمة الأمانة وممارستها يترتب عنه الحصول على فائدة تعود على صاحبها، وبالتالي يصبح عاملاً يزيد من اتّساع حجم دائرة انتشارها في المجتمع، وفي المقابل هناك عامل المكسب المعنوي لممارسة قيم معينة تعود على صاحبها بثواب حسيّ مثل

رشيد بن راشد

حصوله على المدح والثناء داخل المجتمع، لتصبح فيما بعد من دواعي انتشار هذه القيم بسرعة، وكذلك من عوامل انتشار القيم لدينا طلب الحصول على الثواب في الحياة الأخرى (يوم الآخرة) بمعنى ممارسة بعض القيم يكون له فائدة متأخرة إلى ما بعد زوال الدنيا، وهي من القضايا الكبرى التي لها دواعي مهمة في ممارسة ونشر القيم بين أفراد المجتمع.

وأخيراً فبعدما تمّ التفصيل في كيفية تشكل القيم، كان إلزاماً تقديم الخطوات التي تمر عليها قبل أن تصبح راسخة في المجتمع، وأول خطوة هي جذب الانتباه ناحية القيمة لزيادة الشعور بأهميتها في إطار تقديم المعلومات الكافية عنها مع عرضٍ مُحدّد التفاصيل، ويتأتى عنه التزام الفرد في صورة واضحة تنعكس في سلوكياته وتفاعلاته الظاهرية، ومن الخطوات أيضاً ما يعرف بتفاضل القيمة، بمعنى الالتزام التام لها واكتساب إرادة قوية تأتي من توالي تتبع ينتهي بممارستها اجتماعياً، و الدفاع عنها والترويج لها من طرف صاحبها حتى تكون فوق أرضية ثابتة داخل المجتمع، وبعدما تصبح سلوكاً عفويّاً لدى حاملي هذه القيمة، وتأتي خطوة التنظيم لتجد مكان لها في ترتيب سُلّم القيم، واستقرارها وترتيبها له أولويات تختلف من سلم لآخر، وترسخ القيمة هو المرحلة التي تكون فيها قد بدأت بتنظيم نفسها داخل سُلّم القيم، وبعد هذه الخطوة تأتي مرحلة التمييز؛ والتي يكون فيها الفرد مميزاً بثباته في سلوكياته وانفعالاته وفق ما يناسب تلك القيمة التي يحملها عبر المجتمع.

قائمة المراجع:

- رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2021). تاريخ فلسفة التكنولوجيا: القيم الاجتماعية والقيم التكنولوجية. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية-33, 09(04), 53.
- رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2022). القيم الاجتماعية في بناء الهوية الحديثة : مقارنة نوعية. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية. 770-781, 10(02),
- رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2022). القيم الاجتماعية لجيل الهاتف الذكي (تحليل كيفي لاستخدامات الشباب للهاتف الذكي). (المجلة الجزائرية للإبحاث والدراسات. 53-72, 05(01),
- رشيد بن راشد، حسنية بلحاج. (2023). القيم الاجتماعية والقيم التكنولوجية ك رؤية تحليلية. المجلة الجزائرية للإبحاث والدراسات. 510-524, 06(03),
- عمر أحمد مختار. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.
- Filho, W. L. (2022). Social Values and Sustainable development: Community experiences. Environmental Sciences Europe, 34(01), 89-98.
- Sally, S. (2023). Philosophy and Value. Palgrave Macmillan Publishers, 03(05), 67-82.
- Turkkaman, M. (2024). Social Values and Value Education. Social and Behavioral Sciences, 07(03), 633-638.
- Vieyt, R. (2022). Social Values their role in Society. Global Journal of Sociology and Antropology, 01(02), 126-138.